رواية

الشاردة

فوزية الدخاخني

سلسلة رؤى من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

صالح شرف الدين

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : الشاردة
المؤلف : فوزية الدخاخني
تصنيف الكتاب : شعر
تصميم وإخراج : سلسلة رؤى
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٥١٣٨ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 821 - 1

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١١٥١٠٤٧٦٥٦ - ٠١٢٨٣٦٢٢٩٧٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

أهــدى هــذا العمــل المتواضــع للقــراء وأتمنــى أن ينــول إعجابهــم.

كـما أهديـه لأسرتـى و بالأخـص أمـى لأنـه كان لهـا فضـل الدعـم المـادي والفكـري لهـذه الروايـة .

المقدمة

في سير كل منا يجذبنا الكثير من البشر، ونشعر أن وراء كل منهم حكاية، وكثيرا ما تمس أرواحنا شيئا من أرواحهم ؛ فنكوّن في خيالنا الحكايات والقصص عنهم، وقد نتسائل عما بهم من آلام وأوجاع، ليس هذا فحسب، بل نجعلهم أبطالاً لخواطر قد تتوارد على فكرنا خاصة بشأنهم المبهم الغامض، ولا نقارب الحقيقه، فكل منا قد يكون(مليكه) برقتها أو(مؤنس)بشروده، ويصبح الأمر معكوسا، ويبحث عن أسرارنا ويتيه في غموضنا من نسافر بخيالنا من أجل الوصول لحقيقتهم المبهمة، وكل منا في هذه الحياه قد لفت انتباهه وهو ساير في طريقه أناس استحوذوا على فكره للحظات، وهذا طبيعي لأن بداخلنا

الفضـول والطيبـه لا يتصارعـان إنـما يتحـدان مـن أجـل الحقيقه ومـن ثـم مسـاعدة الآخريـن.

تمنياتى بالقراءة الممتعة..

فوزيه الدخاخني

ديسمبر ٢٠١٨م

التقديم

سرد الألم وأمل السرد

قراءة في رواية الشاردة للمبدعة فوزية الدخاخني

بقلم المستشار صالح شرف الدين

عضو لجنة النقد باتحاد كتاب مصر

-خُلق الإنسان في كبد، والدنيا دنيا لأن هناك عليا، الخير في الدنيا ابتلاء، والشر فيها ابتلاء، الخير فيها يجعل الإنسان يطغى، وينسى أنه إنسان ضعيف مهما تخيل أنه قوي، والشر فيها يجعل الكثيرين ينهارون أو ينحرفون،

فهم مثل أبيهم آدم ضعفاء لا عزم لهم، ويبقى الإيمان بأن الحق حق، وأن الخير ينتصر في النهاية مهما طالت صولة الباغي، يبقى الأمل داعما للمؤمنين، وتبقى رحمة الله عز وجل تشمل كل من آمن به، تدور رواية الشاردة في فلك هذه المعاني، ترسّخ الكثير من القيم كالصبر والإصرار والوفاء، وتحذر من كثير من الشرور :الغدر والخداع والظلم والخيانة، مؤكدة على أن الخير ينتصر في النهاية.

-ما أسوأ أن تُبتلى طفلة بمصائب متعددة لا تأتي فرادى، تموت الأم، ويتزوج الأب، وتتآمر زوجة الأب على زوجها وتخدعه، وعندما تكبر الطفلة المسكينة تستولي عليها وتزوجها لعشيقها لتسيطر على كل الثروة، يكتشف الأب الخيانة، فيصاب بالشلل، ثم يريحه الموت، تبيع الشريرة كل شيء، وتهرب مع عشيقها، وتأخذ ابن المسكينة معها، لم تجد المسكينة أي شيء من حطام الدنيا، فتتشرد لكنها تتمسك بالأمل، وتردد كلمات لا تمل من تكرارها، وتتحمل مالا يتحمله بشر، ويأتي صبرها بالفرج، فتعود الدنيا لتبتسم لها دون توقع منها .

-رواية الشاردة رواية إجتماعية بامتياز تعالج مشكلة الظلم والخداع الاجتماعي، وقد

استخدمت الكاتبة أسلوب السارد العليم، فهي التي تروي الأحداث، وقد تستخدم الحوار والسرد المباشر على لسان الشخصيات، تقول :

«هي تلك المرأه الخمسينيه شاحبة الوجه وهزيلة الهيئه ومتوسطة الطول صاحبة الرداء الأسود المهلهل الملطخ بالطين، ويخالط شعرها الأسود الشعر الأبيض، فمها صغير، وأنفها مدبب، وعيناها تلمح فيهما السماء برغم ضعف نظرها، تتكيء على عصاه، تلف البلادعلي قدميها ولا يعرف أحد من تكون هذه المرأة ؟، ومن أين ؟ وماذا تريد ؟

يرها الناس وهى تمشي هائمة علي وجهها في الشوارع، ولا تنطق شفتاها سوى كلام لاتُعرف دلالته أومقصده برغم تكراره مرات ومرات»

وتقول :

«.. وعن سر حزنها، وكلماتها الغامضة، وسبب تشردها في الشوارع والأحياء، أجابته المرأه التى يبدو عليها الطيبة والتسامح إنها من بلده مجاورة وإنها تراها كل ليله فى نفس

المعـاد وتسـقيها ثـم وتواصـل سـيرها، فسـألها :هـل تعـرف شـيئا آخـر عنهـا مدعيـا أنـه يريـد أن يقـدم المسـاعده لتلـك الشـارده ؛ حتـى لا تظـن هـذه المـرأة فيـه ظنـا سـيئا.

فقالت:أنـا لسـت مـن أهـل هـذه القريـة واشـتريت هـذا المنـزل منـذ ثـلاث سـنوات لكـن سـمعت الكثـير مـن الأقاويل عـن هـذه الشـاردة.

قـال الشـاب في شـغف وتلهـف: قصيهـا عـلى لربـما عرفـت حقيقتهـا.

قالـت المرأة:البعـض يقـول إنهـا هاربـه مـن أهلهـا منـذ زمـن وتخـاف أن يعرفـوا مكانهـا فيقتلوهـا وأنهـا مـن مـكان بعيـد ولكـن بعـد هروبهـا أخـذت مسـكنا قريبـا مـن هنـا وسـبب هروبهـا أن أهلهـا كانـو تجـار مخـدرات وهـى لا تتحمـل مـا يفعلـون مـن إجـرام فى حـق البشريـه، هـذا مـا سـمعته وفقـك الله فى مسـاعدة تلـك الشـاردة المسـكينة ..».

-الشـاردة العمـل الروائـي الأول للكاتبـة فوزيـة الدخاخني، وصدرلهـا ديـوان شـعر :جسـور الأوهـام، ونجـد عنـاصر الروايـة التقليديـة متوفـرة في هـذا العمـل، الزمـان يمتـد، وتتـوالى فيـه الأحـداث، وتنمـو فيـه الشـخصيات، سـواء خـيرا

أم شرا، يكبر فيه الطفل، ويفارق أهله المزيفون، ويبحث في المجهول عن أمه، وتتعدد الأماكن التي تدور فيها الأحداث : القصر، والقرية، وبيوت الفلاحين، والأرض الزراعية، كما تعددت الشخصيات الأساسية والثانوية، ورسمت الكاتبة شخصياتها الأساسية جيدا ؛فتأثرنا برقة مليكة، وتعاطفنا معها عندما تشردت، وكرهنا زوجة الأب الجميلة الشريرة، تشابكت الأحداث منذ البداية، وصنعت الإثارة، وحبكة جيدة حتى قرب ختام الرواية عندما تأكد مؤنس من جار الشاردة إنها أمه، والختام ختام سعيد يتفق مع حقيقة انتصار الخير، وإن ابتعد كثيرا عن النهايات الواقعية والمفتوحة للروايات، تقول :

«... جلست مليكة على الأرض وأخذت مؤنس بين ذراعيها مقبلة رأسه وناظرة إلى الشبه الكبير الذى بينهما من عيون زرقاء ونظر ضعيف وأنف مدببة ووجه أخذ الحزن منه مسكنا، ثم ادخلته بيتها الصغير،داربينهما حديث باكٍ ويرتجف صوتها، قالت له:أنت حقا ابني، أنا أحس ذلك، أنا متأكدة، أنا عاقله، أين كنت كل هذه السنين ؟..» .

-إن اكتمال عناصر الرواية الأولى، والسرد الذي يجذب القاريء، وما يرسخه من قيم مباشرة وغير مباشرة -يبشر بأعمال روائية جديدة في المستقبل -إن شاء الله - تزيد فيها مساحات رسم الشخصيات خصوصا من الناحية الاجتماعية، مع المزيد من التفصيلات الدقيقة، مع تفاعل أكثر مع الزمان والمكان، ورصد انعكاساتها على الأشخاص والأحداث .

-وفي ختام هذه القراءة السريعة، نبارك للكاتبة هذا المنجز،وننتظر الجديد المبدع بتوفيق الله .

الجيزة

ديسمبر ٢٠١٨م

الشاردة

هـي تلـك المـرأه الخمسـينيه شـاحبة الوجـه وهزيلـة الهيئـه ومتوسـطة الطـول صاحبـة الـرداء الأسـود المهلهـل الملطـخ بالطـين، ويخالـط شـعرها الأسـود الشـعر الأبيـض، فمهـا صغـير، وأنفهـا مدبـب، وعيناهـا تلمـح فيهـما السـماء برغـم ضعـف نظرهـا، تتكـيء عـلى عصـاه، تلـف البلادعـلي قدميهـا ولا يعـرف أحـد مـن تكـون هـذه المـرأة ؟، ومـن أيـن ؟ ومـاذا تريـد ؟

يرهـا النـاس وهـى تمـشي هائمـة عـلي وجههـا في الشـوارع، ولا تنطـق شـفتاها سـوى كلام لاتُعـرف دلالتـه أومقصـده برغـم تكـراره مـرات ومـرات .

هـذه الكلـمات الغامضـة لمـن يسـامعها، والتـي تعنـي لهـا شـيئا لا أحـد يعرفـه سـواها، هـي كلـمات مغزولـة بخيـوط من القصائـد، حـاضرة الإحسـاس وغائبـة المعنـى، ومتلونـه باللـون الرمـادي الـدال عـلي الغمـوض المكتـسي بالحـزن المسـيطر عـلى صوتهـا الضعيـف .

هى تردد مرارا وتكرارا :

غيم الشمس لم يزل

وضياء القمر حزين

والنجوم تسير في موكب

يسير من بين الغيوم

ما هذا ماذا أرى

الكون في ثياب حزين!

أخذت الكواكب تواسي الأرض

تماسكي ولا تنهزمي يامسكينة

وأخذت تدعو لها

اجعلها يا إلهي من الصابرين

وتسألها عن عطرها

الذى فقدته من سنين

وصوت البلابل

يشدو حزنا

بتغريدة مودع

زاد بداخله الأنين

وغيم الشمس لم يزل

وضياء القمر حزين

تـردد وتـردد ذلـك مـرات ومـرات غـير مباليـة بوجـود أحـد وكأن صوتهـا ينـادي عـلي مجهـول هـي تعلمـه، وتنتظـر أن يراهـا أويـدرك صوتهـا الحزيـن أوحتـى يلمـح ثوبهـا البالي.

مؤنس

-تجذب هذه المرأة انتباه مؤنس، ومؤنس شاب فى منتصف الثلاثينيات وتبدو عليه التعاسة، ويلمح فى عينيه الزرقاوين بعض من الأسى وبرغم شعره الناعم الكثيف ذي اللون الأسود وبشرته البيضاء ووجهه الوسيم يمتلك بدنا هزيلا، ويتجول كل ليله فى شوارع بلدته البسيطه، بمصاحبة السأم والياس ويرى أن الناس تحمل كثيرا من القصص والحكايات التى تساعده على التخلص من الشعور بالملل وكثيرا ما كان يشعر أنه فقد شيئا ما وأن روحه معذبة وتائهة.

- لقد كانت تلك المرأة الشاردة هى فى ذلك اليوم القصه التى لم يسمعها من قبل، وأثاره كلامها الغامض الذي يحمل الحزن والأسى بين نبراته وعباراته، فقرر مؤنس أن يراقبها ليعرف قصتها، ويشتاق لمعرفة عن أي شيء تبحث هذه المرأة، وماذا تقصد من كلامها المبهم المغطى بالشغف تجاه ما تبحث عنه.

-نصحه كثير من الناس أنه بذلك سوف يضيع وقته بلا فائده ؛ لأن تلك المرأه منذ بضع سنين وهي تهيم على وجهها من مكان لآخر مرتديه نفس الثياب، وتردد نفس الكلمات، ولم يستطع أحد أن يفك رموز أحرفها الغامضة.

-وبرغم هذا الكلام أصر مؤنس على خوض هذه المغامره ولم يبال بنصح الناصحين .

وما جعل مؤنس مصرا على معرفة قصتها، وما تبحث عنه هو انجذابه إلى غموضها وطريقة حديثها و وجهها الممتلىء بالخطوط الرفيعة المعبرة عن الزمن، والذي لا يدرك سر كونه مألوف لديه، رغم أنه لا يتذكر أنه رآها من قبل .

-هذا مؤنس يحدث نفسه : إن وراء هذه المرأة سرا كبيرا، ولابد أن يعرفه، يبدو أن لديه ثقة كبيرة فى أنه يستطيع أن يعرف ما عجز عن معرفته جميع الناس الذين كانوا يرونها منذ زمن بعيد بهذا الوضع دون الوصول إلى أى معلومة تخص تلك المرأة، وتكشف سر حزنها، وكلامها الغامض .

-كانت فرصه لهذا الشاب أن يقضى هذا اليوم وهذه الليله مع حكاية غريبة ومسلية فى نفس الوقت، ولا ريب أن هذا الشاب شعر تجاهها بشعور خفى غير مدرك دلالته، لكنه يشده ليعرف سر هذه الشاردة المجهولة.

-فأخذ مؤنس يتتبع خطواتها دون أن تشعربه، ويتتبعها ذاهبا إلى كل مكان تذهب إليه، ويسأل في كل مكان تصل إليه في سيرها الضعيف، يسأل إن كان هناك أحد يعرفها، ولكن لا فائدة، فلا أحد يعرفها، وهناك من يقول كلام من وحي خياله ظنا منه أنه قريب من قصتها المبهمة.

-قال بائع الخبز المتجول صاحب الصوت الخشن والشعر الأبيض والوجه المليء بالتجاعيد، قصير القامة يرتدي جلبابا رماديا: أنا عمك سعيد عزاوى أعرف قصتها وحين أرها أعطيها خبزا دون مقابل وأنا أسكن هذا الحى منذ زمن بعيد وهى من قريه مجاورة، مات جميع أفراد أسرتها عندما احترق منزلهم ولم تستطع التحمل فرت هاربة إلى الشوارع تتلفظ بكلمات مبهمة.

شكره مؤنس على هذه المعلومات التي تبدومقنعه، وذهب ليتبع سيرها فى مكان آخر فوجد امرأة تبدو عليها الطيبه والوقار تعطيها ماء لتشرب حينما كانت الشاردة مارة من أمام منزلها الذى يبدو عليه البساطة والذوق الراقى فانتظر حتى شربت وواصلت السير فذهب مسرعا ليسألها عنها، وهل تعرف أي شيء عنها، وعن سر حزنها، وكلماتها الغامضة، وسبب تشردها في الشوارع والأحياء، أجابته المرأه التى يبدو عليها الطيبة والتسامح إنها من بلده مجاورة وإنها تراها كل ليله فى نفس المعاد وتسقيها ثم وتواصل سيرها، فساءلها :هل تعرف شيئا آخر عنها مدعيا أنه يريد أن يقدم المساعده لتلك الشارده ؛ حتى لا تظن هذه المرأة فيه ظنا سيئا.

فقالت:أنا لست من أهل هذه القرية واشتريت هذا المنزل منذ ثلاث سنوات لكن سمعت الكثير من الأقاويل عن هذه الشاردة.

قال الشاب في شغف وتلهف: قصيها على لربما عرفت حقيقتها.

قالت المرأة:البعض يقول إنها هاربه من أهلها منذ زمن وتخاف أن يعرفوا مكانها فيقتلوها وأنها من مكان بعيد ولكن بعد هروبها أخذت مسكنا قريبا من هنا وسبب هروبها أن أهلها كانو تجار مخدرات وهى لا تتحمل ما يفعلون من إجرام فى حق البشريه، هذا ما سمعته وفقك الله فى مساعدة تلك الشاردة المسكينة.

-شكرها مؤنس ثم واصل السير، وشعر فى نفسه أنها قصه معقده ليست للتسلية، وهذا ما جعل إصراره على معرفة الحقيقة يزيد.

مواصلة البحث

-بينما مؤنس يواصل السير وجد الشارده تجلس بجوار متجر للعطارة فى شارع يملأه الهدوء وصاحبه الحاج (عمار الحسينى) صاحب اللحية البيضاء المغلقة بالشارب صاحب النظارة، العسلى العينين، ذوالأنف الكبيرة، وبعض الأ سنان الذهبية، يحمل بيده اليمنى المسبحة واليسرى السواك يرتدي عباءة سوداء على جلباب أبيض.

الحاج عمار الحسيني لديه ثلاثة عمال يعملون معه في محل العطارة، يرسل أحدهم إلى الشارده ليعطيها قليلا من الأعشاب .

بينما كان الشاب واقفا بالقرب من متجر العطارة مستترا وراء عمود النور وجد الشاردة لم تمكث كثيرا فى الجلوس على الأرض بجوار المتجر، بل قامت واتكأت على عصاها فعاونها أحد العاملين فى المتجر لتستطيع النهوض ومواصلة السير.

استغل مؤنس مساعدة العامل لها ودخل بسرعه قبل أن تلمحه ليشترى بعض الاعشاب وانتظر إلى أن تسير مسافه قليله بعيداعن المتجر بمترين .

أسرع إلى العطار وسأله بصوت منخفض من هذه المرأه، وعن سر ترحيبه بها، وسبب جلوسها بجوار متجره .

أجابه العطار: إنها من أهل الخطوة وأنها مكشوف عنها الحجاب وأنها تركت كل أموالها للفقراء، فأينما توجد هذه المرأه يوجد الرزق .

قال له الشاب في دهشه: لماذا تركت أموالها واصبحت مشردة؟!

قال العطار :إنها لم تنجب ومات زوجها وكان شيخا يؤخذ العلم على يديه، بعد وفاته لم تجد هذه المرأه هدفا فى البقاء فى مسكنه ولا لذه فى التمتع بالمال الوفير فأعطته للفقراء وذهبت إلى الشوارع فاقدة الوعى فأخذت تتلفظ بكلام غريب .

شكره مؤنس التاجر وواصل السير وراء الشاردة بطيئة الخطوات.

و الحيرة تتملكه: كلهم كلامهم مقنع، ولكن ما هي الحقيقة، ما حقيقة هذه الشاردة التي يجد نفسه منجذباً إليها، وإلى معرفة كل شيء عنها .

لم يقنعه كل ما سمع، فوراء كلامها معان يحسها ولا يفهمها أشبه بلغز غامض .

وبرغم ذلك لم ييأس، وأخذ يلاحقها في السير، ولكن تملكه التعب وهو لايريد الاستسلام او التراجع عن مقصده ويفقد تحديه العظيم الذى تحداه لنفسه ولابناء قريته، عليه أن يعرف سر هذه الشاردة، والأهم يتبين سر انجذابه إليها .

بيت الشاردة

يمر الوقت، ومازالت المتابعة مستمرة، إنه الليل أتى وأنزل ستائره عليهما، وهما يسيران سير التائه الباحث عن ضالته من بين الخطى والوجوه الكثيرة والنجوم البارزه فى السماء الواسعة المليئة بالغيوم، رأى الشاب أنه حان وقت الراحة، فما له من قوة ليتحمل السير مجددا .

لكنه يخشى أن يفقدها قبل أن يعرف سرها،تمنى أن تحس به الشاردة، وتكف عن السير، فلم يعد يقوى عليه، وكأنها سمعت أمنية قلبه، وأحست به، فقد وجدها تدخل بيتا مصنوعا من الخشب، وأغصان الشجر، ومعروشا بالبوص، وسط مكان مليء بالأشجار والحشائش، هذا ما رآه من البيت، وهو متكيء على شجرة التوت.

اطمأن مؤنس بعض الشيء عندما عرف مستقر الشاردة، وشعر بداخله أنه يقترب كثيرا من حل لغز تلك المرأة .

الآن يستطيع أن يلتقط أنفاسه، وتهدأ نفسه المتلهفة لاكتشاف المزيد عنها.

وبدا الفرح والسرور على وجه الشاب النحيف ضعيف البصر صاحب العيون الزرقاء وكأنه وجد كنزا باهظ الثمن، وشعر بالحماس تجاه ما يفعله من أجل معرفة سر تلك الشارده المليئه بالغموض.

وبينما هو واقف خلف شجرة التوت يتتبع خطواتها وماذا بعد أن دخلت بيتها الخشبي الصغير المحاط بالنباتات والتى تغطى معظمه، وكأن هذا البيت صنع ليحتويها هى فقط .

شعر مؤنس بالجوع والتعب، فجلس تحت شجرة التوت ناظرا حوله إلى البيوت الصغيره البسيطه المتناثرة فى المكان قال فى نفسه :يا له من مكان رائع حقا، لقد كنت أحتاج إلى هذه المغامره الشيقة .

وبينما الشاب جالس تحت الشجرة أخذه خياله إلى بعض التوقعات لنهاية هذه المغامره إنها من الممكن أن يكون هذا المكان مخبأ فيه كنز ثمين، نعم ممكن فى هذا المكان الصغير، أو من الممكن يكون كلام أحد الناس صحيحاً .

وقال فى نفسه: سأنتظر حتى الصباح لأعرف سر هذه المرأة، يالـه من يوم شيق مليء بالحكايات، والمفاجآت .

وبينما هو منغمس في تفكيره إذا بالسماء تمطر، ويشتد المطر، ويزداد وميض البرق، ويعلو صوت الرعد، وتنخفض الحرارة، ويالـه من حظ، لقد جعل الشاب يرتعد من كثرة الأمطار .

وفكر مؤنس أن يعود لبيته، وأبعد الفكرة، فكيف سيرجع وقد قطع مسافة كبيرة، والجو مظلم، وهو لايعرف كيف يعود من هذا المكان الذى هو فيه ليلا، فاضطر أن يحتمى بشجرة كبيرة في جذعها تجويف يحميه من الأمطار الكثيفة، تكور في المكان، وشعر بالدفء حتى أخذه النعاس قليلا من الوقت، وهو يردد كلام المرأه الشاردة بصوت يغلب عليه التعب والنعاس:

غيم الشمس لم يزل

وضياء القمر حزين

غيم الشمس لم يزل

وضياء القمر حزين

وبعد وقت قليل أفاق الشاب فزعا، ووجه بصره نحو بيت الشارده .

لازال الباب مغلقا ولازال السكون يخيم على المكان، وكأن الطير حط على رؤس أهل البلده فجعلهم لا يشعرون بشيء من تقلب الجو وتغير وجه السماء، وكأن الوقت قد توقف ولا يريد أن يذهب الليل ليأخذ مكانه النهارقائلا في شيء من الاستياء:يا إلهي مازالت الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق يا إلهي أعني على قضاء هذه الليلة الشتوية المحاطة بالغموض والخوف.

ظل الشاب ماكثا فى مكانه ينتظر أى جديد أو إشارة تجدد همته وحماسه.

لاشيء تغير سوى سكوت صوت الرعد وكأنه طفل مزعج انتهى من الصياح وقرر أن ينام، وأيضا هدوء الأمطار الراحلة في السماء الواسعة النازلة إلى الأرض

الضيقة الهابطة من أجل غسل ثياب الأرض من الهموم والذنوب.

لحظات ووجد الشاردة خارجة من بيتها الصغير الخشبي لتشعل نارا لتمحوبها ملامح البرد القارس حاملة على كتفيها غطاء سميكا باليا يخفى كثير منها ما عدا وجهها الذابل.

أخذ الشاب يدقق النظر فى ملا محها الحزينه بنظره الضعيف، ومن وراء الشجرة آخذا كل الحذر حتى لا تراه تلك المرأه المحني ظهرها من الزمن، الماكثة أمام النار التي أشعلتها ضامة يديها على كتفيها وتكسو وجهها الدموع، وكأنها تحكي للنار حكاية، وبينهما حديث لاينقطع منذ زمن بعيد، ثم خطر فى باله كلام الخباز وقال فى نفسه:لو حقا مات أهلها من حادث حريق مؤلم لكانت هذه الشاردة كاره كل لهب ولكن هي تنظر للنار وكأنهما أصدقاء على موعد يشعر كل منهما بالاستئناس بالآخر.

عم راضي القماش

قال مؤنس فى نفسه:يالها من امرأه تحمل الحزن الشديد بداخلها الضعيف!

وبينما الشاب ماكث يتتبع سكنات وحركات تلك المرأه إذا بطفلة فى عمر العاشرة تدنو من الشاردة حاملة قدحا، تملاء وجهها البريء الابتسامة وتقدمه للشارة، متبادلة معها نظرات الحنان والشفقة، الشاردة تقبل كف الطفلة التى لم تمكث كثيرا، وتعود مسرعة إلى منزلها القريب من بيت الشاردة.

فوجد الشاب فى نفسه نافذة أخرى ينظر من خلالها على حقيقة تلك المرأه، وتتبع خطوات الفتاة التي تشبه كثيرا أطفال فرنسا، والتي سارت إلى منزلها القريب من الشاردة، ذلك البيت أكبر من منزل الشاردة، ويحتوي على حظيرة للماشية التي يصل صوتها إليه، ويكسو البيت من الخارج كثير من نباتات الزينة.

انتظر الشاب قليلا حتى أطفأت الشاردة النار بكوب من الصفيح الصديء الممتليء بماء المطرمن حفرة صغيرة بجوار الباب تجمعت فيها بعض الامطار الساقطة، ثم ودخلت بيتها الصغير وأغلقت الباب الخشبى الملىء بالفتحات الصغيرة كأنه هو الآخر أثرت عليه تقلبات الزمن .

حينهـا أسرع بالذهـاب إلى بيـت الطفلـة الجميلـة بعـد مـا اطمـأن أن المـرأه لـن تخـرج مـره أخـرى بعـد أن قامـت بتسـخين القـدح الـذي يحسـبه مـن اللبـن وكأنهـا كل ليلـه تنتظـره مـن هـذه الفتـاه، ووجـد أن عليـه ان يغلـق أيضـا بـاب فضولـه بـالإسراع إلى ذلـك المنـزل القريـب، وكانـت السـاعة قـد أصبحـت الثانيـة عـشرة الا دقيقتـين، وإذا بـه واقـف عـلى أعتـاب منـزل الفتـاه مـترددا ومرتبـكا، تتقاذفـه كل الظنـون السـيئه : هـل سـيوبخوننى، هل سيسـيئون فهمى، أم سـيوقظون الشـاردة لإخبارهـا عـن فضـولى، وهـل وهـل وهـل؟

قطـع الشـاب تفكـيره، وصممـم عـلى أن يكمـل المحاولـة، وطـرق البـاب .

فتحـت لـه الطفلـة مسـتغربة ملامحـه المتعبـة البعيـدة عـن ملامـح أهـل قريتهـا.

أسرعـت الفتـاة، وصاحـت وعـلي وجههـا ملامـح الخوف:أبـى أبي أبـى شـخص غريـب لم أره مـن قبـل، تعـال بسرعـه شـوفه (عايـز إيـه)

خـرج الأ ب القريـب فى العمـر مـن الشـاردة مسرعـا إلى البـاب، ورحـب بـه، وأدخلـه إلى المنـزل لسـوء حالـة الجـو الممتـلىء بالغيـوم والمطروالـبرد، المنـزل يتسـم بالبسـاطه قليـل

الغـرف، وكثـير السـتائر، الإضاءتـه خفيفـة، ويكسـو البيت الهـدوء وكأن كل مـن فى البيـت ذهبـوا للنـوم مـا عـدا الفتـاة الجميلـه وأباهـا. شـعر مؤنـس بالإحـراج واعتـذر عـلى أن الوقـت غـير مناسـب، طمأنـه الرجـل، وقـال لـه :إنـه كل ليلـة يسـهر لحراسـة المنـزل، وكان الرجـل يسـتمع للراديـو، لأغنيـة فـيروز (نسـم علينـا الهـوى) فشـعر بالطمأنينـة ودخـل وأجلسـه فى غرفـة الضيـوف المليئـة بالصـور القديمـه، وكأنهـا أفـراد عائلـة الراجـل الطيـب، والجـدران ذات اللـون الأخـضر الفاتـح المليئـة بالـشروخ، والصالـون ذو الكـراسي المدهبـة المكسـوة بقطـع مـن القـماش النبيتـى القطيفـة الـذي يبـدو عليـه أنـه صنـع منـذ سـنين طويلـة وهـذا الرجـل يحتفـظ بـه.

نـادى الرجـل عـلى ابنتـه الكبـيرة وقـال لهـا: يـا بنيتـي جاءنـا ضيـف فهـلا أكرمتـي ضيـف الله .

قالـت لـه في اسـتحياء واقفـة خلـف السـتارة الزرقـاء المليئـه بالـورود الحمـراء وبعـض الخطـوط الذهبيـة فى ممـر الطرقـه المؤديـة إلى غرفـة الضيـوف : حـاضر يـا أبـى دقائـق وسـيكون كل شيء عـلى مـا يـرام.

قـال لهـا أبوهـا: بـارك الله فيـكِ مـا عندنـا كثـير والحمـد والشـكر قليـلان .

اللهم ارزقنا الرضا والحمد والبركة.

ولما رأى عليه من اجهاد وتعب قام بأحضار ملابس له بدلا من ملابسه المتسخه المبللة .

الابنة تحضر الطعام وتنادي أباها على استحياء ليأخذه منها وبالفعل أخذ الطعام وقال لها :أشكرك ياعزيزتي اذهبي أنت للنوم وخذى أختك لأنها سهرت هذه الليلة كثيرا .

واطعمه الرجل الكريم بجبنة وقشطة وبيض وخبز وكوب من اللبن الساخن مع بعض الفواكه الطازجة : برتقان ويوسفي وأعطاه شرابا ساخنا من عشب البابونج ليشعر بالاسترخاء .

شعر مؤنس أنه بحاله جيدة، ويستطيع ان يتحدث إلى هذا الرجل الكريم صاحب الوجه البشوش عم (راضى القماش) بكل سكينة واطمئنان .

حقيقة الشاردة

وبـدأ التحـدث إلى هـذا الرجـل الطيـب كريـم الخلـق عـن مـا يـدور برأسـه، وعـن سـبب وجـوده فى قريتـه الهادئـة الجميلة واخـبر الرجـل بـكل الأقاويـل التـى سـمعها عـن الشـاردة ..

ضحـك الرجـل كثـيرا، ثـم قـال لـه: سـوف أحكـى لـك قصـة تلـك الشـاردة. فـرح مؤنـس كثـيرا، وشـكره عـلى الثقـة بـه، وكل مـا فعلـه معـه مـن كـرم وترحيـب، وبـدأ الرجـل الطيـب الـكلام عـن الشـاردة المجهولـة للكثيريـن، والتـي نسـجت حولهـا القصـص الخياليـة الغامضـه التـي أثـارت فضـول الكثيريـن، ومنهـم مؤنـس .

وقـال الرجـل الطيـب عنهـا:إن أباهـا السـيد (عـلي الراعـى) صاحـب الهيبـة والوقـار كان غنيـا، وكانـت لـه مزرعـة خيـول وعزبـة، وكان يمتلـك بالقـرب مـن هنـا جنينـة فواكـه، وكان تقيـا سـخيا، ولـه هيئـة مميـزة حيـث إنـه كان مفتـول العضـلات قـوى السـاعدين وطويـل القامـه يسـير بـين النـاس بالتواضـع والمحبـة، وكل النـاس كانـت تحبـه وتحترمـه وكان متزوجـا مـن السـيده (فاطمـه الراعـي)ابنـة عمـه، وكانـت معروفـة بالجـمال وقليـلا مـا كان النـاس يرونهـا، وكانـت أيضـا تقيـة

وكريمة الطباع، وأصيبت زوجته بالسرطان، ولم يكتشفوه إلا مؤخرا فماتت زوجته فحزن عليها حزنا شديدا ومن ثم أصبحت ابنته التى لم ينجب غيرها يتيمه في عمر الثانية عشرة، ونصحه كثير من الناس بأن يتزوج من أجل ابنته الصغيرة، فهى تحتاج إلى من يرعاها وإنه سوف يقصر كثيرا فى حق ابنته لذا عليه أن يتزوج وفي أسرع وقت.

أخذ وقتا طويلا فى التفكير، أخذ منه ثلاث سنوات .

وفى ذات ليله مرضت ابنته وارتفعت درجة حرارتها واحضر لها الطبيب الذى يعمل بالوحدة داخل القرية فنصحه أن يعتنى بها أكثر من ذلك فهى لا تحتاج لمربية، هى تحتاج لأم ترعاها وتلازمها طول الوقت وتشعر بحنانها فابنتك مصابه بالاكتئاب، وبعد أن انصرف الطبيب، مكث يفكر ولا يدرى ما القرار الذى من المفروض أن يتخذه هل يتزوج من أجل ابنته ويخالف عهده مع زوجته الراحله أنه لن يأتى بزوجة أب لابنته أم يظل محافظا على عهده لها .

رجع الإلحاح عليه من جديد وقال له صاحبه الشيخ (صديق معروف) الذى يعمل إمام مسجد السلام بالقرية

و القريب جدا فى الشكل والهيئه من صاحبه السيد علي الراعى: نحن تربينا سويا وكبرنا سويا وواجب علي النصيحه لابد أن تتزوج فهذه سنة الحياة، ولا يخالجك الشك أنك بذلك خنت عهدك لزوجتك الراحلة.

سكت السيد علي قليلا وتنهد بصدر مخنوق وقال فى صوت حزين رافضا النطق بالموافقه على الزواج :اتركنى الليله ياصديقى فأنا متعب كثيرا.

اعتذر منه الشيخ(صديق)عما إذا اجهده أوضايقه بالحديث وانصرف على أن يلتقيا غدا فى المسجد لأداء صلاة الجمعة .

وبعد أن اطمأن على حال ابنته تركها فى رعاية المربية (حسنات) صاحبة السن الكبير والوجه الأسمر محمول فى ملامحها طيب العمر فهى كانت مربية لأم الطفلة(مليكة) ابنة الراحلة فاطمة الراعى.

جلس السيد علي الراعى فى غرفته يتكلم مع صورة زوجته زارفا الدموع المليئة بالحيرة قائلا فى حزن شديد:كيف لى أن أخالف عهدى ياشريكة عمرى، وكيف لى أن أجد من تفهمنى وتحنو على وتقف بجوارى وتجعلنى

أمر بها من جميع الأزمات وأسكن إليها بوجعى وتسكن إليَّ بروحها المليئة بالدفء، وكيف لهم أن يطلبوا أن أذبح روحك الطاهرة بالسكين، وهي التى تواسيني، اليوم سآخذ القرار الذى يذبحنى لكننى جريح الظروف والأيام، سأقول موافق وسأقول مضطر وسأقول مجبر وسأقول وسأقول وسأقول إلى أن أصل فى النهاية إلى طريق معتم تضيئه التضحية ويظلمه الوفاء، تصبحين على قرار زواجى يا عزيزتى.

وأتى الصباح واستيقظ من فى البيت واحضرت الخادمة(سعدية) ابنة المربية (حسنات) الفطور عند سماع صياح الديك وزقزقة العصافير وقام بدعوة صديقه فى التليفون الموروث من أبيه ويحمل القيمة المادية والزمنية الكبيرة .

واستجاب الشيخ (صديق)وحضر لتناول الإفطار مع صاحبه، راغبا فى إكمال حديث الأمس.

قال له الحاج سيد الراعى:أنا موافق على أن أتزوج هلا رشحت لي واحدة.

تأخر الشيخ (صديق) في الرد عليه بضع دقائق ثم قال:لا أعرف واحدة تليق بك، ولكن هناك الخاطبه (زكية) فلنرسل لها .

وبالفعل أتت الخاطبه التى يبدو على ملامحها المكر والدهاء ودلته على واحدة تعيش مع أخيها، وأنها يبدو عليها العز، وأنها سكنت حديثا فى البلده وأخذت مسكنا بالقرب من هنا .

فسألها الشيخ (صديق) إن كانت تعرف عنها أى شيء.

فهمت المرأة الخبيثة مقصده فردت فى دهاء:إنها عزباء شقراء بيضاء تحب الأطفال كثيرا وخصوصا البنات، وتسكن مع أخيها الذى يكبرها بخمس سنوات، ولم تضايق أحدا وتتعامل بلطف مع الجميع.

قال السيد على الراعي لها: انا لايهمنى جمالها، كل ما يهمنى ابنتى .

ردت فى مكر : وهى كل ما يهمها هو أن تعيش مع أشخاص يقدرونها ويحافظون عليها.

قال لها السيد (علي الراعي) بعد صلاة الجمعه إأتنى بالرد:وكأنه أراد التعجيز ليري صاحبه أنه لم يقصر متمنيا عدم التوفيق فى هذه الزواجه.

وبعد صلاة الجمعة وهو خارج من المسجد وجد رجلا غريبا لا يعرفه ولم يره من قبل ذو شعر أسود ناعم منسدل على جبينه مخفيا ملامحه يقول له:تقبل الله هلا أذنت لى أن اشرب معك فنجانا من الشاي.

تعجب كثيرا السيد (علي الراعى) وقال فى دهشه : تمام تفضل وأثناء سيره مع هذا الرجل الذى يبدو عليه سمات المدينة تحدثه نفسه عن ما الذى يريده هذا الغريب وانتهى السير بالوصول إلى منزل السيد (علي الراعى) الفخم والذى يبهر من يدخله وكأنه قصر مبنى على تراث الأساطير.

أجلسه السيد علي وطلب له الشاي إلى أن يجهز الغداء.

ظلوا برهة من الوقت ينظرون لبعضهم البعض فى صمت وينتظر كل منهما أن يبدأ الآخر الحديث حتى قال الضيف: أحب أن أعرفك بنفسى أنا من الإسكندريه

وعشت عمرى كله فى اليونان ثم منذ شهور أتيت أنا وشقيقتى للعيش فى هذه القرية الهادئه لأننا كرهنا الثراء وأحببنا أن نغير من حياتنا وتدخل القدر فى أن يكتب لنا العيش هنا بطلبك الزواج من شقيقتى وأنا أتيت لأبلغك الموافقه.

تبسم السيد (علي) وقال :على بركة الله .

وبالفعل تزوج من امرأه ذات جمال ودلال ودون أن يقيم فرحا احتراما لزوجته الراحله، وما لبثت الزوجة الجديدة أن خططت للسيطرة على المكان وصاحبه، وأخذت تمتلكه عقلا ومالا وقلبا حتى نسي دوره تجاه فتاته الصغيرة اليتيمة ..

مليكة

كـبرت مليكـة وأصبحـت فى سـن الثامنـة عـشر تملاؤهـا الـبراءة والرقـة والطيبـة، والشـعور باليتـم والوحـدة يسـيطران عليهـا، تكتـم مشـاعرها الحزينـة، وتصمـت أمـام أبيهـا المتجاهـل لوجودهـا وزوجـة أبيهـا المتحكمـة في كل شيء القاسـية عليهـا.

وقـررت زوجـة الأب أن تـزوج هـذه الفتـاة التـى تطغـى عليهـا رقتهـا وعذوبتهـا وبرأتهـا العازفـة عـلى البيانـو عـزف الملائكـة والقارئـة لشكسـبير جاعلة نفسـها بطلـة لرواياتـه فهـى جوليـت الحيـاة برقتهـا وجمالهـا الملائكـى، قـررت أن تزوجهـا لأخيهـا الـذي يكبرهـا ببضـع سـنين، وملأهـا الإصرار والتحـدي لتلـك الفتـاه الضعيفـة، واسـتخدمت كل الوسـائل والحيـل لتقنـع الأب أن هـذا مـن مصلحـة ابنتـه بـدلا مـن أن يطمـع في ثروتهـا أحـد وأن أخاهـا هـو الوحيـد الـذي سـيحافظ عليهـا وأنـه حتـى لـو في منتصـف الأربعينـات فمليكـة بلغـت ثمانيـة عـشر عامـا وأن دراسـتها ستسـتمر حتـى لـو أرادت بعـد ذلـك السـفر إلى الخـارج لتكمـل دراسـتها هنـاك .

سكت الأب قليلا ثم قال لزوجته ولماذا كل هذا الإصرار.

أجابته زوجته اللئيمه لابسة ثياب الطيبة إني أخاف عليها كثيرا وإني لا أريد أن يسافر أخي إلى اليونان مرة أخري، وأنت يازوجي العزيز شرفت علي منتصف الخمسين ألا تحب أن ترى أحفادك وهم يجرون ويلعبون.

فقال لها: معكِ كل الحق وأنت واخوكِ ترعيان مصالحنا على بركة الله.

عندما علمت (مليكه) تضايقت كثيرا وأخذت تبكي، وواصلت البكاء لأنها كانت تكره زوجة أبيها كرها شديدا، ولا تحب أخاها ولا ترتاح له، ولكنها غير قادرة على الرفض خوفا من أن يغضب منها أبوها،

فوافقت، وتم الزواج في حفل كبير حضر فيه الكبار والأعيان من القريه والقرى المجاور، وقد استنكر الكثير من الحضور أن يتزوج هذا الغراب بهذه اليمامة، يتساءلون: كيف لهذه الملاك الصغير أن تتزوج بشخص يبدو على

وجهه الإجرام،الذي لم يترك مضغ اللبانه أثناء العرس، ولا السلسلة الذهب التي يلوح بها يمينا ويسارا، وكأنه تمكن من شيء ما، ولم يلتفت السيد الراعي لنظرات أحد هو عالم بمكنونها.

ومرت سنه على زواج المسكينه الذي تبدل وجهها الملائكي بوجه يغشاه الحزن والكآبه مصاحبة الصمت طول الوقت، فاقده لمعنى الحياة وكأنها تنتظر أن يحين لقاؤها بأمها الراحلة، وتبدل البيت أيضا، لقد أصبح كالإنسان المختنق من دائرة السوء المحيطه به.

وكان بيت سيد الراعي قد أحاطه الغموض من أمور ليس لها تفسير.

المؤامرة

إن زوجت الأب كانت تبالغ في الإحسان إلى أخيها وكانت تسيء المعاملة مع الجميع، وكثيرا ما كانت تتمشي مع أخيها في حديقة المنزل الواسعه المليئة بالزهور وبعض شجر الفاكهة والنخيل المليء بالتمر الأحمر و يظلون بالساعات يتحدثون .

وفي يوم أثناء سيرهم كالعادة سمع أبي الحاج (إسماعيل) الذى كان يعمل ناظرا في عزبة السيد (علي الراعي) سمعها تقول لأخيها :حان الوقت.

فرد عليها أخوها قائلا:تحدثت إلى الخواجه(مشيل).

قالت له :وأنا في الانتظار.

اعتبر الحاج إسماعيل أن كلامهما غير مهم وظل في طريقه للخروج من البيت الكبير، ولم يبالِ بوجوده أحد منهما.

وبعد عدة أيام وصل الخواجه ميشيل علي إنه صديق زوج ابنته وعرفه أنه يعمل في كل شيء .

رحب به السيد علي وأكرمه، ومكث الخواجه القصير صاحب القبعة السوداء والنظارة المكعبة وأقام أسبوعا، ثم شكره ورحل، وبعد سفر الخواجه بيومين أرسل الخواجة خطابا إلي زوجة علي الراعي، كانت وقتها تتمشى كالعادة هي وأخيها، فأخذه زوجها وفتحه شاكا في أمرها حيث لا أحد يعرف ولا أحد أرسل لها خطابا من قبل.

قرأه، أصيب بالهلع، ولم يستطع التحمل، فوقع على الأرض وألقى الخطاب في المدفأة ليبقى ما فيه سر، وغلبه الخزن، ولم يستطع الحركة أو الكلام، أصابه الشلل .

حزين الجميع علي ما وصل اليه السيد (علي) وكان كلامه بالعين والنظرات إلي الجميع .

ظلت مليكة إلى جواره شهرا كاملا قبل وفاته بينما زوجة أبيها وأخوها الذى هو في الحقيقة زوجها يسافران كثيرا، وخدعا والد مليكة ليستوليا على ثروته، فكان الأب يرسل نظرات الشفقة على ابنته لأنه عاجز عن التعبير لها بخصوص ما أصابه .

أخـذت (مليكه)تبـادل أباهـا نظـرات الشـفقه، ثـم قالـت لـه فى ألم:يـا أبـى أعلـم أنـك لم تفقـد السـمع لذلـك سـأقول لـك أشـياء كثـيرة فـلا تغضـب منـي: أنـا فقـدت حنانـك مثلـما فقـدت حنـان أمـي، وكنـت كثـيرا تعتـبر صمتـى رضـا وهـدوءا لكـن كان عجـزا حتـي لا أحطمـك بصـوتي المسـجون في مخاوف الفـراق، أنـا أعلـم لمـاذا أصبحـت هكـذا .والله أنـا أعلـم، ثـم قبلـت رأسـه وهـو يـزرف الدمـوع، وذهبـت لتسـتريح، وفى المنـام حلمـت بطائـر عمـلاق أبيـض اللـون يحملهـا عـلى ظهـره ويحلـق بهـا فى السـماء الواسـعه ثـم يلقـى بهـا عـلى الأرض فتتجمـع العصافـير مـن حولهـا يغنـون لهـا بأنغـام حزينـة .

أفاقـت مليكـة وأسرعـت الخطـا تجـاه غرفـة أبيهـا فـإذا بـه قـد أسـلم الـروح، كانـت الصدمـة كبـيرة، لكنهـا أخـذت تـصرخ بصوتهـا الرقيـق الـذى يشـبه صـوت البلابـل، وعندمـا علمـت زوجـة أبيهـا أتـت هـي وأخيهـا والخواجـة مشـيل الذي عـاد مـن سـفره الغامـض، وتصنعـوا الحـزن عـلى الفقيـد، وبعد الانتهـاء مـن العـزاء جلـس الثلاثـة جلسـة الذئـاب فى غرفـة مغلقـة عليهـم لأكثـر مـن ثـلاث سـاعات .

ثم طلبت زوجة الأب الشيخ (صديق) في التليفون، والذى أحزنه كثيرا فراق صاحبه، وطلبت منه أن يأتي لأمر مهم لا يؤجل، وبالفعل لم يتأخر، وكان الوقت حينها العاشرة مساءً، أجلسته مع أخيها والخواجة وقالت له إنها لا تستطيع العيش هنا عليه أن يأتي بشخص أمين لتثمين التركه، وبيعها.

فقال لها بحذر: وهل ابنتي (مليكه) لديها علم .

بكت وقالت: مليكه أصيبت بالجنان وحالها يسوء يوما بعد يوم وأنا أريد أن آخذها لأعالجها في الخارج فهى تحتاج لمال كثير.

صدقها الشيخ صديق وطمأنها أنه سيأتى لها بالشاري وانصرف.

وفى الصباح أتي الشيخ صديق بوالدي الحاج إسماعيل ليشهد على عقد البيع وأتي بالمشتري عادل بك الذى كان يعيش فى فرنسا ويملك فيلا بالجوار وهو كان مهندسا معماريا، وكان يود شراء منزل السيدعلي الراعي منذ خمس سنوات لطرازه الفريد .

قام الخواجه ميشيل بتثمين التركه وتقديرها بمبلغ كبيرهو مليونان وثلاثمائة ألف جنيهٍ.

هذا المبلغ فى ذلك الوقت هو مبلغ كبير وفعلا تم البيع ولكن مكثوا في المنزل لحين ما يقومون بتدبير مكان بديل.

تدخل القدر ليجعلهم يظلون وقتا أطول فقد عرفوا أن مليكة حامل والتي اصبحت خرساء منذ وفاة أبيها، وأخفت زوجة الأب هذا الخبر عن الجميع، وادعت أنها هي التى حملت وأنها على وشك الوضع، ليكتب الطفل القادم باسم على الرعي، ويكون وريثا شرعيا لهذه الثروة.

ومرت الأيام والشهور ووضعت مليكه طفلا يشبهها كثيرا،فأخذته زوجة الأب وأخذت المال وهربت مع زوج هذه المسكينة ووالد الطفل وعندما رآها الناس مرتدية الثوب الأسود والطرحه المغطية لنصف شعرها الأشقر متصنعة للحزن والأ سي مخبأة مكر عينيها وراء كحل يشبه عين الأفعى قالت : إن مليكه زاد جنانها وتريد أن تقتل طفلى كما قتلت أباها، وخرجت مليكه تصرخ وتهرول وراءهما، ولكنهما ذهبا بعيدا وتركاها لنظرات الناس القاسيه كاتمة مع صوتها الضائع سر وفاة أبيها الذى اكتشف : أن زوج

ابنته هو عشيق زوجته، وأنهما كثيرا ما كانوا يمزحون أمام الفلاحين بطريقه مبتذله تدعو للشك أنهما أخ وأخت، حتى رأهما واحد من الفلاحين بجوار شجرة الكافور على شاطيء الترعة، رأى الأخ يحدث من يدعي أنها أخته بشكل غير بريء ويدعو للشك وعندما لمحاه قاما بضربه بالكرباج حتى لا يتفوه بما شاهده، فذهب الفلاح المسكين إلى أبي الحاج اسماعيل فى بيتنا القديم المبني بالطوب اللبن وفى فنائه كنبه خشب وبعض النباتات وقليل من الأوز والبط والفراخ المنتشرة في الفناء.

أجلسه والدي وطلب له الشاي وأتت أمي خديجه مرتديه الملس وواضعة طرف الطرحة على فمها وفي يدها صنية عليها كوبان من الشاى وطبق كعك ووضعتها، ثم ذهبت متأثره بالإصابات التى فى وجه الفلاح.

فقال له أبى اشرب الشاى يا حسنين وقول : إيه اللى خرشمك كده.

بكى حسنين المحنى الضهر اسمر البشرة صاحب الشارب الذى يشبه شارب الرئيس جمال عبدالناصر :أنا ياشيخ إسماعيل كنت ماشى في حالى فلما رأيت زوجة

سيدي على الراعي وأخوها وهما (بيوشوشوا بعض وبيقولوا (راجل مغفل هو وبنته الى عيشه فى دور الملاك الطاهر لازم نخلص منهم) ثم سكتوا برهة، ثم قالت زوجة سيدي علي فى حماس عندى فكره إحنا نلبس بنته مصيبة وندعي إنها على علاقه بامتياز ابن دكتور الوحدة بصراحة الواد أمور ويتحب وأنا عندى حبيبي الى هيشهدوا معانا وسعتها إنت تعمل مصدوم وتطلقها وتعمل شوشرة ليها هى وأبوها وأنا سأقول له إنه كثير ما كان يترقبها وفى كل صباح يعطيها ورده ثم يذهب أكيد كانو مخبيين حاجة.

نظر لها وقال لها : إنت مصيبه، وعندما رأوني ضربونى، ياعينى عليك ياسيدى البيه إنت والست الهانم ولاد أصول وجبتم تعالب تعيش فى بتكم وأخذ الفلاح الضعيف يبكي، وهو منحنى الظهر وقتها كنت فى سن الثانية عشرة من العمر وكنت ألعب بالكره جنب الزير الى أبويا كان وهبه لله أمام الباب وحفظت كل مادار بينهم ولكن كنت لا أفقه شيئا عن ما سمعته.

المسكينة والأمل

قال أبي لعم حسنين بصوت مليه الغضب والاستياء حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل، عرف أن شيئا ما سيئا سيحدث عن قريب، وقال لحسنين لاتنطق بشيء حتى لا تتصاعد الأمور، وحتى لا نصنع مشكله مع دكتور الوحدة لان ابنه بيشتغل سفير، وإنه كان يعامل مليكة مثل أخته الصغيرة، وإنه يعلم رقتها فكان كل ما يرها بالصدفه يقطف لها ورده وهذا أما م الفلاحين بكل طهر وعفه وبراءة، الهم قد ملأ قلبى ياتري ماذا سيحدث غد .

وأتى الغد وأتي خبر مرض السيد علي الراعي وإصابته بالشلل وكأن الله أراد أن يحمى المسكينة وأبيها من كذبة المحتالين وتبدلت خططتها ولكن مليكة كانت هي الأخرى رأتهما كثيرا في أوضاع مخلة وحذرها زوجها من أن تنطق بشيء، وقال لها في قوة وجبروت :إن زوجة أبوك العجوز ليست أختى فنحن محتالان، وأنا استغل جمالها ودلالها للنصب على المغفلين أمثال أبوكِ هي زوجتي، فاذهبي وقولي لأبيك حتي يموت من الصدمة وتكوني أنت اللي قضيتِ عليه.

سكتت مليكة ونظرة له نظرت قرف واشمئزاز ثم ذهبت إلى البيانو لعزف نغمه حزينة وعلمت أنهما انتظرا الكثير من الوقت ليملكوا كل شيء، وإنها كانت تعرف نوايا هما الخبيثة إنهما سيستوليان على كل شيء ويهربان لكن بطريقة مختلفة عن التى حدثت وصدقت معهما مقولة مصائب قوم عند قوم فوائد.

وظلت الفتاه المسكينه أياما وشهورا وسنوات تبحث عن طفلها هائمة على وجهها، شاردة، تسير فى الطرقات لعلها تجده أو تجد من يدلها عليه بعد أن عاد لها صوتها، ولكن لم يصدقها أحد من قريتها، فرددت كلمات مبهمة المعنى قائلة:

غيم الشمس لم يزل

وضياء القمر حزين

وصنعت لنفسها هذا البيت آمله في أن تجد ابنها وكل يوم تبحث وتبحث عنه ولا تفقد الأمل أبدا برغم ضياع بصرها وذبول وجهها وغزو الشعر الأبيض لشعرها الأسود، وظهور الخطوط المعبرة عن مدى أساها وحزنها.

وعلمت منذ زمن أن زوجة أبيها تعرف عليها أشخاص وأخبروني أنها فقدت كل الثروة ؛ لأنها كانت مدمنة فضاع المال علي الحبوب التي تأخذها وعلى عشيقها الذى تزوجها حتى لا يسألهم الناس عن هذا الطفل المسكين الذى رباه محتالان.

وأصبحت هى وعشيقها معدمين، ولكن لا أحد يعرف منزلها الجديد الذي يناسب دنو الحالة الاقتصاديه لها.

فسأله الشاب بصوت متأثر حزين يغلب على نبراته العطف والشفقة :

هل اخبرتنى عن اسم المحتالين اللذين فعلا كل هذه الجرم فى حق تلك الشاردة المسكينة.

أجابه الرجل الكريم بأنها تدعى(عين الوجود قحطان) وعشيقها يدعى (موسى الجاهورى) اللذان كانا يدعيان إنهما أخوان من الأم.

المفاجأة

وفجأه وقع الشاب على الأرض فاقدا للوعى، اضطرب الرجل كثيرا وحاول إفاقته مرات ومرات، وفعلا أفاق مؤنس وعيناه تمتليء بالدموع.

فسأله الرجل: إذا كان يشكو من أي تعب جعله يفقد الوعي، أم تعب تأثرا بما سمع.

رد مؤنس في صوت مختنق ونبرات يكسوها الألم والأنين :ياله من قدر عجيب، هذان المحتالان هما أبي وعشيقته، كنت أحسبهما أبي وأمي كانا يلعبان القمار كل ليلة، كل ليله ويشربان الخمر حتى يسكران، ولا يتقيان الله في شيء، وكانا لايهتمان بي أي اهتمام، ولم أشعر أنهما أبي وأمي، فهما لا يشعران بوجودي على الاطلاق فلم أشعر تجاههما بأية عاطفة، فمن الممكن أن يكون جفاؤهما كان دافعا لانجذابي إلى المرأه الشارده متبعا خطواتها الباحثة عن ضالتها لأجد فى خطواتها الضعيفة خطواتى التائهة.

وانهار مؤنس من كثرة البكاء، فقام بتهدئته الرجل الطيب، وقال له قم معى قبل أن يأتي الصباح وتخرج الشاردة فيتجدد ألمك.

وأسرع الشاب نحيل الهيئة مع الرجل الطيب الكريم إلى بيت الشاردة وأخذ يطرق الباب بلهفة واشتياق وحنين مغمورين بالفرح والشغف؛ فاندهشت الشارده وفتحت الباب فتحه صغيرة تنظر من خلفه تمتليء عيناها بالدهشه فوجدت شابا لم تره من قبل يردد على سمعها:

الشمس سطعت بعد غيوم

والقمر برغم ظلمة الليل

أصبح متبسم منير

والنجوم في موكب

تهنيه على رجوع

كنزه الثمين

يللا افتحي

يا أم المسكين

افتحي بسرعة

لوليدك الحزين

هنعاتب سوا الزمن

على فرقنا الطويل

وأخذ يردد هذه الكلمات مرات ومرات حتى فتحت الباب على مصراعيه، وأخذت تحدق النظر فى هذا الشاب زائغة عيناها فى جميع وجهه فقبّل مؤنس يديها، وركز على ركبتيه قائلا :عشت مع أم لم أكن ابنا لها، وهامت روحي وراء امرأه أجهلها، ويقدر الله أن تكون تلك المرأة الشاردة هي مليكة أمي الحقيقية التي لازالت تبحث عنى فى الطرقات بينما أنا كنت أبحث عنها فى خاطري.

اللقاء الحلم

جلست مليكة على الأرض وأخذت مؤنس بين ذراعيها مقبلة رأسه وناظرة إلى الشبه الكبير الذى بينهما من عيون زرقاء ونظر ضعيف وأنف مدببة ووجه أخذ الحزن منه مسكنا، ثم أدخلته بيتها الصغير ودار بينهما حديثا باكيا ويرتجف صوتها، قالت له:أنت حقا ابني، أنا أحس ذلك، أنا متأكدة، أنا عاقلة، أين كنت كل هذه السنين .

هل ستقسو عليّ كالزمن أم ستحتوي مابقى منى كما تحتوى الأرض الجذور، تتكلم وهي تنظر في عينية، ويداها على خديه، ودموعها تنساب، وهو يراقب صورته في عيونها، وكأنه ينظر لعينيه في المرآة غير مصدق ما يجري. هيا أقسم لى ياولدى أنك لن تترك أمك ثانية ثانية .

تنساب دموع مؤنس ويخالط وجهه تعبير الفرح مع الشفقه مع الحزن مع مشاعر كثيرة، وقال لها بصوت منخفض كالهمس :اطمئني فلم أتركك برغبتي لم أكن واعيا عندما أبعدوني عنك، وأنا أيضا كنت أبحث عنكِ وأراكِ فى أحلامى حقا كنت أراكِ فى أحلامى، مغطية الوجه وتقولين

أبحث عنى فأنا بجوارك، وتكررينها كل ليله وتذهبين وظللت حائرا كثيرا أتساءل :من تكونين حتى اتهمني أمى وأبى المحتالان بالجنان برغم أنى لم أتناول الخمور مثلهما وكنت أصلى وأعمل بائعا فى مكتبة لانفق على نفسى من الحلال وعلى دراستى فى كلية التجارة فلقد أخذنى صاحب المكتبة منذ كنت فى الصف السادس الابتدائي، وكان يغرس في القيم والمباديء رحمه الله الأستاذ سعيد البلتاجي ذا الشعر الأبيض والوجه الأبيض والقلب الأبيض وبعد وفاته عرض ابنه الأكبر على أن اشتري المكتبة لأنه سيهاجر إلى كندا هو وأخوه عند أختهم الدكتورة عبير وافقت وبالفعل اشتريتها وعمل فيها معى صديقى (حسين) الغلباوي، فكان يصبرنى بخفة دمه وتقليده لإسماعين ياسين وكان يشبه الفنان إسماعيل ياسين لذلك كان بارعا فى تقليده والأيام عندى كانت تشبه بعضها البعض، وكان رجوعي من المكتبة إلى البيت هم كبير، وكنت أكرههما كثير، وكل ليله أنام حزينا أحلم بكِ يا أمى ضمينى بين زراعيكِ وضعى خدك الذى أصبح بئرا للدموع التى تنزل عليه على خدى الذى كان هو الآخر بئرا للدموع .

أخـذة الأم رأس ابنهـا عـلى صدرهـا وأخـذت تحكـى لـه قصـة جوليـت التـى كانـت تحبهـا كثـير والتـى كانـت تعتـاد قراءتهـا حتـى نـام ابنهـا كالطفـل الرضيـع وأخـذت تغنـى لـه كلـمات كانـت تغنيهـا أمهـا لهـا فى الصغـر قائلة:(يـا زهـور الجنايـن عيـزه آخـد منـك وردة واديهـا لابنـي، ربي يطـرح فيـه البركـة، وقـولي للعصفـورة :أنـا عنـدى ليـكِ دعـوة لمـا ملاكـى ينام.إبقـى اطفـى الشـمعة، إبقـى اطفـي الشـمعة، إبقـي اطفـي الشـمعة) ظلـت مليكـة حتـى الصبـاح وهـى تغنـى لـه حتـى أفـاق وقبـل يدهـا وشـعر أنـه وُلِـد مـن جديـد مـع هـذا الصبـاح الـذى استنشـق بعضـه .

أخـبر صديقـه أنـه عثـر عـلى أمـه الحقيقيـة، وأنـه سـيقيم معهـا، وطلـب منـه إدارة المكتبـة، ولا يخبر أحـدا بمـكان إقامته .

وقـرر مؤنـس أن يعمـل مـع الرجـل الطيـب الـذى أكرمـه وأكـرم أمـه وبالفعـل عمـل معـه فى الأرض، و حـرص أن تكـون لـه أرض في المسـتقبل، وأن يسـتعيد بيـت جـده لأمـه، وأصبـح لـه منـزل صغـير جميـل، وعـاش فيـه مـع أمـه التـي لم تكـن تفارقـه أكثـر مـن سـاعات العمـل، بـل قـد تذهـب لـتراه، وتطعمـه بيديهـا، وتفيـض عليـه مـن حنانهـا صبـاح مسـاء .

وأتى بخادمة من أجل راحة أمه، التي تغيرت كثيرا وكأن العمر رجع بها سنوات عدة بعودة ابنها وكأنها صغرت عشرين عاما، شكرت الأم كثيرا الرجل الطيب الذي أعاد لها ابنها، والذي يواصل رعايته، ويساعده ليحقق طموحه .

مليكة تجعل ولدها يرى الابنة الكبيرى لهذا الرجل الطيب الكريم خمرية البشره ورشيقة العود صاحبة العينين الواسعتين والشعر الأسود الطويل، فأعجب بها، فسألتها عن رأيها في ولدها، فلما صمتت عرفت أنها تميل إليه كما مال إليها، فأصرت أن تفرح بهما في أسرع وقت، فتزوجها مؤنس وأنجب طفلة جميلة تشبه جدتها لأبيها أصر أن يسميها (مليكة) .

الكاتبة في سطور

فوزيه فايز صديق الدخاخنى

-ولدت في :٢/ ٧/ ١٩٨٧

بمحافظة الغربية

-حاصلت على بكالوريوس خدمة اجتماعية

من المعهد العالي بدمنهور

- حاصلة على دبلومه دراسات عليا من جامعة الإسكندريه.

-سجلت للماجستير بكلية الآداب جامعة الاسكندرية

- صدر للكاتبة :

ديوان جسور الأوهام

رواية : الشاردة

الفهرس

المقدمـــة..... ٥
التقديم بقلم المستشـار صالح شرف الديـن ٧
الشـــاردة..... ١٣
مؤنـــس..... ١٩
مواصلة البحـــث..... ٢٧
بيـــت الشـــاردة..... ٣٣
عم راضي القـماش..... ٤١
حقيقة الشـــاردة..... ٤٧
مليكـــة..... ٥٧
المؤامـــرة..... ٦٣
المسـكينة والأمـل..... ٧٣
المفاجـــأة..... ٧٩
اللقاء الحلـــم..... ٨٥
الكاتبـة في سـطور..... ٩١

رؤى
إبداع يبلغ
عنان السماء
تدعم الإبداع من الألف إلى الياء